الايديولوجي الأممي واليوم الأخير

بقلم: د.مصطفى حسين بطيخة

تم نشر هذا المقال على موقع جريدة (عنب بلدي) بتاريخ 3 آذار العام 2026:

https://www.facebook.com/share/p/1CXnXZFbYw/

الأيديولوجي الأممي واليوم الأخير – عنب بلدي

في مقال سابق على زمان الوصل بعنوان (الايديولوجيات الأممية وقتل الوطنية)، ناقشت الفرق بين الوطني والايديولوجي الأممي، كيف أن الأول يؤمن بالاختلاف والتشاركية والمساواة تحت سقف القانون لجميع من ضمته حدود الوطن، في حين أن النقيض الايديولوجي الأممي يلغي الحدود ويعترف بسلط وعصبيات تاريخية قبل مفهوم الدولة والوطن (عن العصبيات راجع مقالي على زمان الوصل بعنوان:الاستبداد والعصبيات – قصة سورية)، ومن انتمائه لهذه العصبيات ينشأ التمايز لديه، فالمجتمع لديه عبارة عن مجموعة عصبيات وليس كياناً وجسداً واحداً لكل أبنائه، وعصبيته وحدها هي الحق الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فينشأ لديه الاستبداد المطلق وأي استبداد.

في ذلك المقال تحدثت ببعض التفصيل عن أنواع الأمميات القومية منها أو الدينية بأنواعها وآخرها الجهادية. سأتحدث في هذا المقال عن نماذج شهيرة في عالم الأممية الايديولوجية وكيف أن هذه الأسماء لم تحمل معها إلا الاستبداد، وكيف أن (اليوم الأخير) للايديولوجي الأممي هو سقوط مفاجئ ولحظي لايتوقعه أتباعه الذين عميت أبصارهم فلايرون فيه إلا الرب الجبار (**ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ**)، ومع هذا السقوط يشهد الأتباع الايديولوجيون سقوط ايديولوجيتهم وزيف التفوق الذي تدعيه، ولكن الخراب الذي يلحق بوطن الايديولوجي الأممي في (يوم السقوط الأخير) عظيم.

أحد الأسماء الشهيرة هو الايديولوجي الأممي (هتلر)، وهو العصبوي القومي المنادي بالصفاء العرقي ومصنف البشرية حسب اقترابها أو ابتعادها عن العرق الآري الجرماني.

لقد انتهز هذا العصبوي أزمة الكساد الكبير العالمية في العام 1929، حيث انتشرت البطالة والفقر وتشردت العائلات، فجاء هتلر مستشاراً لألمانيا في العام 1933 بالوسائل الديمقراطية الألمانية، فلم يلبث أن ألغاها بقرار برلماني معلناً نفسه وحزبه النازي حاكماً مطلقاً لألمانيا، كما شكل هتلر قوات أمن خاصة له (وحدات إس إس) ومستقلة عن الدولة. لقد كان اليوم الأخير لهتلر الايديولوجي القومي منتحراً في العام 1945 بعد أكثر من 15 محاولة انقلاب وطنية ألمانية عليه خلال الحرب العالمية الثانية. لقد كلف هذا الايديولوجي العالم أكثر من 75 مليون قتيل، وألمانيا وحدها حوالي 8 ملايين قتيل، والتي تقاسمتها الدول بعد الحرب بين غربية وشرقية، ألمانيا المدمرة كلياً مع نساء مغتصبات ألمانيات بحوالي مليوني امرأة. لقد أقسم العالم ألا يعيد انتاج مثل هذا النوع القاتل من الايديولوجيين، النوع القاتل للعالم وللوطن معاً.

من الايديولوجي القومي ننتقل للايديولوجي الشيوعي الصيني (ماوتسي تونغ)، الذي استفاد من المظاهرات الفلاحية الصينية العام 1925، ليقود الحزب الشيوعي الصيني الذي سيصبح الوحيد في الصين بعد قضائه على القوميين الصينيين الذين تحالف معهم أثناء الحرب العالمية الثانية. يعد ماوتسي صاحب النظريات التجريبية في الشعب. لقد أدت تجربته الاقتصادية بهدف تحويل الصين من زراعية لصناعية مابين العامين 1958 و1962 إلى أشد المجاعات البشرية فتكاً، التي راح ضحيتها بما يتجاوز 30 مليون صيني ماتوا جوعاً، ولدرجة أن الأم قبل أن تموت كانت توصي أبناءها أن يأكلوا أجزاء من جسدها، أما ثورته الثقافية مابين (1966-1976) فلم تهدف للتنمية، وإنما إلى إحياء الفكر الشيوعي بعد أن شعر بأفوله، و تطهير البلاد من البورجوازيين، مطلقاً المسعورين من الطلاب والحرس الأحمر والمتهيئين للقتل، حتى وصل عدد الضحايا لحوالي 20 مليون صيني. لقد مات هذا الايديولوجي الشيوعي المستبد بعد أن كلف الصين الكثير من الضحايا (أكثر من ضعف القتلى الصينيين في الحرب العالمية الثانية) والتجارب الفاشلة،

وإن الازدهار الاقتصادي الصيني الحالي لم يحدث إلا عندما أعلنت الصين الانقطاع التام والفوري عن هذا الايديولوجي القاتل.

ومن ماوتسي ننتقل للايديولوجي الأممي (الخميني) صاحب نظرية الأممية الدينية الشيعية، والذي صار حاكم ايران بعد أن استفاد من المظاهرات والاضرابات المدنية ضد الشاه في العام 1978 نتيجة السياسات الاقتصادية والفساد وقمع (السافاك) الأمني. لقد ادعى الخميني الإصلاح من خلال تعيين حكومة إصلاحية ديمقراطية، بينما كان ينشئ الحرس الثوري الخاص به والخلايا والمحاكم الثورية، التي ستحاكم فيما بعد شركاءه في الثورة الايرانية من الماركسيين و الليبراليين الدستوريين وكثير منهم كانوا من الاسلاميين الديمقراطيين. بعدها سيؤسس الخميني أول دولة (للمشايخ) عرفها التاريخ ويعلن نفسه حاكماً أبدياً ومرشداً عاماً للثورة، ومن ثم سيقوم بتطوير نظرية (الولي الفقيه) ليخدم هدفه في تصدير ايديولوجيته الشيعية إلى خارج الحدود. قام الخميني بتوزيع الأدوار الشيطانية، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يمد يده للشياطين، فكانت فضيحة (ايران-كونترا) والتي اشترت أثناءها ايران في العام 1985 من الشيطان الأكبر (أمريكا) صواريخ للحرب ضد العراق، وتم إرسال هذه الصواريخ من (اسرائيل). لن نستغرب ذلك إذا فهمنا أن إيران الوظيفية كانت مهمتها صناعة الفوضى في المنطقة، وإشعال السعار العصبوي الشيعي السني فقط (للمزيد يمكن العودة لمقالي في زمان الوصل: سوريا الوظيفية والحدث المادوري) . كل هذه التحالفات الشيطانية مع الايديولوجي الخميني لم تجعله يفكر بالصلح مع العراق حتى اضطر للاستسلام لها في العام 1988(بعد مليون قتيل ومثلهم من الجرحى)، واصفاً قرار قبول الاستسلام بقوله (ويل لي أنا الذي مازلت على قيد الحياة، أتجرّع كأس السُّم بقبول القرار). يبدو أن الخميني قد تجرع السم حقاً في هذا (اليوم الأخير)، يوم الاستسلام، فمات العام الذي يليه (1989)، بعد أن ترك لنا مجموعة من الايديولوجيين الأممين من أمثال خامنئي وسليماني وحسن نصر الله، من ألحقتهم صواريخ الشياطين بمثواهم الأخير، بعد أن تركوا دولهم ودول محاورهم الوهمية من

العراق وسوريا ولبنان وفلسطين واليمن مدمرة تحكمها الميلشيات. لقد حولت الايديولوجية الدينية الخمينية ايران العائمة على بحر من النفط، إلى دولة دخل الفرد المتوسط فيها منخفض حسب تصنيف البنك الدولي (حوالي 350 دولار شهرياً)، وبمعدل نصف الدخل قبل استلام الخميني (حوالي 650 دولار شهرياً العام 1976)، مقارنة بالإمارات الآن (حوالي 4000 دولار شهرياً) أو السعودية (3000 دولار شهرياً) أو الصين (1200 دولار شهرياً) أو تركيا (1400 دولار) أو اسرائيل (4500 دولار). لاعجب أن أبناء هذه الدولة الايديولوجية وعلماءها يحاولون دائماً الهرب من هذه الدولة النفطية الغنية. واليوم ايران وبعد أن تم قطع محاورها القاتلة في المنطقة، ليست إلا كمن قطعت شراينه وترك ينزف، فلابد له أن ينتفض قليلاً، كما تفعل الآن بإطلاق صواريخها، وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة.

في مقابل الأممي الشيعي الخميني يظهر لنا شيخ الأممية السنية الجهادية (أسامة بن لادن)، والذي ترك عائلته السعودية المقدرة ثروتها بمليارات الدولارات، ليلتحق بحياة المغاور كما كل الجهاديين الأممين. كان خروجه إلى أفغانستان بتسهيل من الشيطان الأكبر (أمريكا) والأنظمة العربية التي وجدت فائدتين في ذلك، الأولى محاربة الاتحاد السوفيتي، والثانية إبعاد هذا النوع من الايديولوجيين الأممين عن البلاد. وفي أفغانستان أسس (بن لادن) القاعدة العام 1988. لم تقف ايديولوجية (بن لادن) الجهادية عند السقوط الروسي، بل كان لابد من تعميمها على العالم، كيف لا وهو ايديولوجي أممي عابر للقارات. تعتبر تفجيرات أيلول العام 2001 على أمريكا العنوان البارز لإنجازات بن لادن، والذي شاهدناه على شاشات التلفاز (يقسم بالله) أنه غير مسؤول عن ذلك، ليعود في العام 2004 ويعترف بمسؤولية القاعدة بعد صيام ثلاثة أيام لقاء حنثه بحلفان اليمين الأول. لقد أدى هذا التهور الايديولوجي بالكوارث على العالم الإسلامي والمسلمين أينما وجدوا من خلال قوانين الإرهاب، فتم تدمير العراق العام 2003، وأعطيت الفرصة (لشارون) في تصفية المكاسب الدولية الفلسطينية بحجة (الإرهاب). لقد شاهد العالم

الرئيس الأمريكي (أوباما) وهو يشاهد عملية قتل (بن لادن) في (يومه الأخير) بعد أن ترك خلفه العديد من الجهاديين الأممين الذين يجوبون العالم الآن وآخرهم (داعش)، ويترك لنا دولة (المشايخ) الثانية في التاريخ بعد ايران وهي (أفغانستان)، حيث يعيش فيها حوالي 50٪ من سكانها تحت خط الفقر، مع متوسط دخل فردي (حوالي 35 دولار شهرياً).

هذه نماذج من الايديولوجيين الأممين وكم هم كثر لاحصر لهم، إلا أن جميعهم ودون استثناء يتميزون بالصفات التالية: فجميعهم يستفيدون من لحظات ومطالب شعبية محقة معتمدين على أوجاع المجتمع، وجميعهم يأتون بقبول شعبي أو مجتمعي واعدين بالإصلاح، ولكنهم جميعهم يستبدون بالمجتمع بعد ذلك معلنين حكم العصبية الواحدة الأبدية بأفكارهم الايديولوجية، فجميعهم يلغون التشاركية مع مكونات الوطن، وإن اليوم الأخير لهؤلاء الايديولوجيين هو يوم كارثي، فيحل بالوطن الدمار، فالإيديولوجي الأممي لايفارق عالمه إلا بعد أن يطبق في وطنه (وفي كثير من الأحيان يمتد خارج حدوده) سياسة الأرض المحروقة حتى بأتباعه، وجميعهم يخلفون بلاداً منهارة اقتصادياً، فالايديولوجية عدوة الاقتصاد والتنمية والتعليم، لأن الاقتصاد لاينمو مع الفساد الذي يؤسس له هذا الايديولوجي ليبقى ويستبد، لذلك لن تجد ايديولوجياً أممياً واحداً في الدول المتقدمة حيث التنمية، وجميعهم يعتمدون على طبولهم الإعلامية، عسى البطون تنسى جوعها وهي تحلم بانتصارات الايديولوجي الوهمية، وفي النهاية فإن جميعهم يشكلون تنظيمات ميلشيوية لهم ومستقلة عن الدولة (وحدات إس إس النازية، الحرس الأحمر الصيني، الحرس الثوري الايراني)، هدفها مراقبة الجماهير وتنفيذ إرادة (الرب الأكبر) عند الإشارة، بما يتضمن القتل الجماعي والاغتيالات.

إن الأوطان لاأمل لها إلا بإعلان القطيعة التامة مع الايديولوجي الأممي، والعودة لمفهوم الوطني بأفكاره، فالوطني يؤمن بالمساواة تحت سقف القانون لجميع من ضمته حدود الوطن، والوطني يؤمن بالاختلاف ويلغي العصبيات وكلمة (أقلوي) من قاموسه، والوطني يؤمن بالتشاركية المجتمعية ضمن آليات ديمقراطية حقيقية، والوطني يؤمن بحق

المجتمع بالتنمية بجميع فروعها كبديل عن شعارات الايديولوجي الزائفة، والتي تدعو المجتمع للصبر لحين تحقيق شعاراته الأبدية، والتي يخلقها لابتزاز المجتمع واستبداده.

إن الخيار الوطني هو مايجب أن يطالب به السوريون دون هوادة، قبل أن نذهب إلى تأسيس دولة (المشايخ) الثالثة في التاريخ بعد ايران وأفغانستان.

مكتبة حسين بطيخة الالكترونية